السمات الفنية في رسائل محمد الأمين الكانمي: دراسة تحليلية نقدية

The Artistic Features in the Letters of Muhammad al-Amin al-Kanemi: A Critical Analytical Study

د. حبو الحاج محمد القوني: دكتوراه في الأدب والنقد، ومحاضرة بجامعة أنجمينا – تشاد.

Dr. HABBO EL HADJ MOHAMED: *Doctor of Philosophy (PhD) in Literature and Criticism, Assistante d'Université, Université de N'Djamena, Tchad.*

Email: habbomahamatelgoni@gmail.com

DOI https://doi.org/10.56989/benkj.v6i10.2127

تاريخ الاستلام: 2026-08-10 تاريخ القبول: 2026-09-15 تاريخ النشر 2026-10-01

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن السمات الفنية والفكرية التي تميزت بها رسائل محمد الأمين الكانمي، بوصفها نموذجًا مهمًا من نماذج التراث العربي الإسلامي في غرب إفريقيا، وإبراز قيمتها الأدبية والتاريخية ودورها في إثراء الحركة الأدبية والفكرية في المنطقة. ولتحقيق ذلك، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال دراسة نماذج مختارة من رسائل الكانمي، وتحليل مضامينها وخصائصها الأسلوبية والبلاغية، واستنباط أبرز سماتها الفنية والفكرية. وتوصلت الدراسة إلى أن رسائل الكانمي اتسمت بجزالة الألفاظ، وقوة التعبير، وتنوع الأساليب، إلى جانب قوة الحجاج والقدرة على التأثير في المتلقي، وكثرة الاستشهاد والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. كما وظّف الكانمي عددًا من الأساليب البلاغية، من أبرزها السجع والمقابلة والجناس، فضلًا عن الصور البيانية والمحسنات البديعية، مما أضفى على رسائله قيمة فنية وجمالية، وأسهم في تعزيز وظائفها الإقناعية والتواصلية. وكشفت الدراسة كذلك عن تداخل الأبعاد الأدبية والفكرية والتاريخية في هذه الرسائل، بما يؤكد أهميتها بوصفها مصدرًا لدراسة التراث العربي الإسلامي في غرب إفريقيا، ونتاجًا أدبيًا يعكس المستوى العلمي والثقافي والسياسي في عصر الكانمي. وأوصت الدراسة بالعناية بتحقيق رسائل محمد الأمين الكانمي تحقيقًا علميًا دقيقًا، من خلال حصر نسخها المخطوطة، إن وُجدت، ومقابلتها، وإثبات الفروق بينها، والتعريف بمصادرها وسياقاتها التاريخية والفكرية، فضلًا عن جمع رسائله في مؤلف علمي مستقل، وإعداد دراسة تمهيدية شاملة تتناول سيرته وثقافته وبيئته العلمية والسياسية والأدبية، بما يتيح للباحثين الوصول إلى مادة علمية متكاملة حول إنتاجه الرسائلي.

الكلمات المفتاحية: محمد الأمين الكانمي، رسائل الكانمي، الأدب العربي، غرب إفريقيا، التراث العربي الإسلامي، السمات الفنية، الأساليب البلاغية، الحجاج، السجع، النثر العربي.

Abstract:

This study aims to investigate the artistic and intellectual features that characterize the letters of Muhammad al-Amin al-Kanemi, considering them an important example of the Arab-Islamic heritage in West Africa, and to highlight their literary and historical value and their role in enriching the literary and intellectual movement in the region. To achieve this objective, the study adopts the descriptive-analytical approach by examining selected samples of al-Kanemi's letters, analyzing their content, stylistic and rhetorical characteristics, and identifying their most prominent artistic and intellectual features. The study concludes that al-Kanemi's letters are characterized by eloquent and powerful diction, expressive strength, stylistic diversity, persuasive argumentation, and an ability to influence the recipient, in addition to frequent references to and quotations from the Holy Qur'an and the Prophetic Hadith. Al-Kanemi also employed various rhetorical devices, most notably rhymed prose, antithesis, and paronomasia, as well as figurative language and rhetorical embellishments, which enhanced the artistic and aesthetic value of his letters and contributed to their persuasive and communicative functions. The study also reveals an interplay among the literary, intellectual, and historical dimensions of these letters, confirming their significance as a source for studying the Arab-Islamic heritage in West Africa and as literary works reflecting the scholarly, cultural, and political milieu of al-Kanemi's era. The study recommends undertaking rigorous scholarly editions of Muhammad al-Amin al-Kanemi's letters by locating and comparing their manuscript copies, where available, documenting textual variants, and identifying their sources and historical and intellectual contexts. It also recommends compiling his letters in an independent scholarly volume accompanied by a comprehensive introductory study addressing his biography, intellectual background, and scholarly, political, and literary environment, thereby providing researchers with an integrated scholarly resource on his epistolary production.

Keywords: Muhammad al-Amin al-Kanemi, al-Kanemi's Letters, Arabic Literature, West Africa, Arab-Islamic Heritage, Artistic Features, Rhetorical Devices, Argumentation, Rhymed Prose, Arabic Prose.

المقدمة:

تعد الرسائل من الفنون النثرية التي احتلت مكانة بارزة في التراث العربي، لما أدته من أدوار متعددة في الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية والفكرية، إذ لم تكن الرسالة مجرد وسيلة للتواصل ونقل الأخبار والأوامر، وإنما غدت مجالًا رحبًا أظهر فيه الكتاب قدراتهم البلاغية والأدبية، وعبروا من خلالها عن مواقفهم ومشاعرهم ورؤاهم تجاه القضايا التي عاصروها.

وفي هذا السياق تبرز رسائل محمد الأمين الكانمي بوصفها مادة أدبية جديرة بالدراسة والتحليل؛ لما تحمله من قيمة تاريخية وفكرية وأدبية، ولما تكشف عنه من جوانب متعددة في شخصية صاحبها ومواقفه ورؤيته للأحداث والقضايا التي عاصرها، لأنه عاش في محيط كثرت فيه التحولات السياسية والاجتماعية والفكرية في منطقة السودان الأوسط وحوض بحيرة تشاد، حيث كان له حضور بارز في الحياة السياسية والعلمية في تلك الفترة.

ومن خلال رسائله يمكن الوقوف على جانب مهم من جوانب تجربته، إذ تمثل هذه الرسائل وثائق نصية تجمع بين البعد التاريخي والبعد الفكري والبعد الأدبي، وتكشف عن قدرة كاتبها على توظيف اللغة في خدمة أغراضه المختلفة؛ لأنها، من ناحية، وسيلة لإيصال الأفكار والمواقف والمطالب، ومن ناحية أخرى، أداة للتأثير والإقناع وبناء العلاقة بين الكاتب والمخاطب.

وبذلك يمكن القول إن دراسة السمات الفنية في رسائل محمد الأمين الكانمي تمثل محاولة للكشف عن جانب من جوانب التراث الأدبي العربي في وسط إفريقيا، وقراءة هذا التراث قراءة تتجاوز الجانب التاريخي إلى الجانب الفني والجمالي؛ لأن الرسائل، لما تحمله من أفكار ومواقف وألفاظ وأساليب، تشكل سجلًا متكاملًا لتجربة الكاتب، وتتيح للباحث أن يستكشف من خلالها العلاقة بين الأدب والتاريخ، وبين اللغة والثقافة، وبين الفكر والأسلوب. ومن ثم، فإن هذه الدراسة تهدف إلى الإسهام في التعريف بهذا اللون من النثر، وإبراز مكانته، والكشف عن خصائصه الفنية، بما يثري الدراسات الأدبية والنقدية المتعلقة بالأدب العربي في منطقة تشاد وغرب إفريقيا، ويفتح المجال أمام دراسات أخرى تتناول هذا التراث من زوايا مختلفة..

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في أن رسائل محمد الأمين الكانمي، على ما تحمله من قيمة تاريخية وفكرية ولغوية، لم تُستثمر بصورة كافية للكشف عن خصائصها الفنية والأسلوبية والبلاغية واللغوية، ومن هنا تبرز الحاجة إلى دراسة هذه الرسائل دراسة تحليلية نقدية تتجاوز مضمونها المباشر إلى البحث عن الطريقة التي صاغ بها الكانمي أفكاره ومواقفه، والوسائل التي اعتمد عليها في بناء خطابه.

وعليه، يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: ما مدى إسهام أبرز السمات الفنية في تشكيل القيمة الأدبية والجمالية في رسائل محمد الأمين الكانمي؟

ويتفرع هذا السؤال إلى عددٍ من الأسئلة:

1. ما مظاهر حضور الثقافة الدينية والتراث العربي والإسلامي في رسائل الكانمي؟
2. ما القيمة الأدبية والجمالية التي تكشف عنها هذه الرسائل من خلال الدراسة التحليل النقدية؟
3. كيف وظّف الكانمي الأساليب الخبرية والإنشائية في بناء رسائله؟
4. ما هي خصائص المعجم اللغوي في رسائل الكانمي وما علاقته بثقافته وموضوعاته؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من أبرزها:

1. التعريف بمحمد الأمين الكانمي وإبراز نتاجه من الرسائل ضمن النثر العربي في منطقة السودان الأوسط وحوض بحيرة تشاد.
2. الكشف عن السمات الفنية التي تميز رسائل محمد الأمين الكانمي، وبيان الخصائص التي تمنحها القيمة الأدبية والجمالية.
3. دراسة المستوى اللغوي والأسلوبي في رسائل الكانمي من خلال تحليل الألفاظ والتراكيب والجمل والكشف عن طبيعة اللغة التي اعتمدها في التعبير عن أفكاره ومواقفه.
4. رصد الأساليب الخبرية والإنشائية في الرسائل، وبيان وظائفها الدلالية والتعبرية ومدى ملاءمتها للمقامات التي وردت فيها.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على بوصف الظواهر الفنية والأسلوبية الموجودة في الرسائل ثم تحليل وظائفها ودلالتها داخل النص، ثم إصدار الأحكام النقدية التي تساعد على تقدير قيمتها الفنية ومدى انسجامها مع موضوعها ومقامها وقدرتها على تحقيق الغرض الذي أراده الكاتب.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة في إلقاء الضوء على جانب مهم من التراث العربي الإفريقي، من خلال التعريف برسائل الكانمي والكشف عن قيمتها الأدبية والفكرية والتاريخية. كما تسعى إلى إبراز العلاقة

المتداخلة بين الأدب والفكر والسياسة في هذه الرسائل، وما تعكسه من قضايا واهتمامات عصرها. وتبرز الدراسة كذلك إسهام رسائل الكانمي في إثراء التراث العربي الإفريقي، وإبراز دوره في توثيق التفاعل الثقافي والفكري بين المجتمعات العربية والإفريقية.

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمحمد الأمين الكانمي والدافع على كتابة رسائله

المطلب الأول: مولد محمد الأمين الكانمي

اختلفت الروايات حول مولد محمد الأمين الكانمي؛ فمنهم من يرجع نسبه إلى أم عربية من أصول ليبية، ومنهم من يرجع أصله إلى أب عربي وأم كانمية من أصول تشادية.

هو الشيخ محمد الأمين الكانمي، ويُعرف بـ«المعلم لامينو» أو «كانمبو» في برنو. وُلد في فزان سنة 1757م، من أب عربي وأم كانمية، وظهر عالمًا دينيًا وسياسيًا محاربًا معارضًا لسياسة ابن فودي، الذي اتهمه بالسعي وراء الأغراض الدنيوية[1].

وقد تعددت الروايات واختلفت، إلا أنها ترجع أصوله إلى منطقة كانم التابعة لتشاد. ومن ذلك، نقلًا عن الدكتور حامد هارون: «إن الشيخ الأمين الكانمي وُلد بكانم بمنطقة (دال أو دالة)، وأصل والده الشيخ الجليل والولي الكبير محمد الكانمي المدني من مواطني فزان». ويرى فضل كلود أن الكانمي من مواليد فزان، حيث قال: «والشيخ محمد الأمين الكانمي من مواليد فزان، وإقليم فزان في ذلك الوقت تابع لكانم، ولعل الذين صرّحوا بمكان مولده وهو كانم، لعلهم يريدون الإطلاق باعتبار فزان جزءًا من كانم»[2].

المطلب الثاني: نشأة محمد الأمين الكانمي وتعليمه

نشأ الشيخ محمد الأمين الكانمي في منطقة بحيرة تشاد في كنف والده، حيث تلقى تعليمه الأول في الخلاوي القرآنية، وهذه هي الرواية التي ترجّح أن والده من أصول تشادية، ينتمي إلى منطقة كانم. «نشأ الشيخ الكانمي في منطقة بحيرة تشاد، وقد جاء في تاريخ حياته أنه تلقى تعليمه في الأزهر لمدة خمس سنوات، ثم بدا له أن يزور القدس، وجاور بها لمدة عامين، وانتقل إلى الحرمين، فجاور لمدة ثلاث سنوات بمكة، ولمدة سنتين بالمدينة المنورة، ولمدة عامين أيضًا بفاس، كما زار طرابلس والقيروان وتلمسان وتنبكتو. وخلال هذه الفترة التي لا تقل عن خمسة عشر عامًا، كان الكانمي يدرس جادًّا إلى جانب الفقه للمذهب المالكي أنواعًا كثيرة من العلوم، ثم بعد هذه الجولة

[1] نقلاً عن ترجمة هامش إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بيلو بن عثمان فودي، منشورات معهد الراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، تحقيق فهمية الشاذلي، 1996م، ص 231،

[2] . هارون، حامد. (2016). الشعر العربي الحديث في تشاد: رواده واتجاهاته. مطبعة الأوفست، ص46.

عاد إلى بلاده، وكله أمل في القيام بحركة إصلاحية لتنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب التي علقت بها في السودان الأوسط والغربي»[1].

والمطّلع على المراجع المتنوعة لتاريخ مملكة (كانم برنو) يتجلّى له ظاهريًا أن الشيخ محمد الأمين الكانمي، عندما جلس على عرش مملكة برنو، كان جلُّ همّه نشر الدعوة الإسلامية، وتوحيد كلمة المسلمين، وإعلاء كلمة الحق. كما حاول أن يتصدى لحركة الشيخ عثمان بن فودي الجهادية؛ لأنها، في نظره، انتهاك لحرمات المسلمين وسفك لدمائهم، ومن هنا بدأ النزاع بين الحركتين الإسلاميتين من جانب الكانمي وابن فودي. لذلك، «ومما مهّد للأمين الكانمي طريق الجلوس على عرش ملك برنو، اشتهاره بالصلاح والولاية، وكثرة الأتباع والتلاميذ من جميع العناصر الموجودة ببلاد (كانم) و(برنو) على حد سواء، وأيضًا فلقد تظاهر إلى حد كبير بالعزوف عن حياة الترف والنعمة إلى حياة الزهد والتقشف، والابتعاد بنفسه عن المسرح السياسي، الذي تمّت عملية الحصول عليه من وراء الكواليس، إذا صح لنا استعمال مثل هذا التعبير»[2].

المطلب الثالث: العوامل التي دفعت محمد الأمين الكانمي على كتابة الرسائل

كتب الشيخ محمد الأمين الكانمي رسائله إلى الشيخ عثمان بن فودي ردًّا على الدعوة التي استندت إليها حركة الجهاد الفولانية في مهاجمة مملكة برنو، بهدف الدفاع عن شرعية الدولة الإسلامية في برنو، وبيان عدم جواز تكفير المسلمين أو قتالهم ما داموا يقيمون شعائر الإسلام. كما استخدم الكانمي الرسائل بوصفها وسيلة للحوار والمناظرة قبل اللجوء إلى القوة العسكرية، محاولًا إقناع عثمان بن فودي وأتباعه بعدم مشروعية مهاجمة برنو. «لقد استنكر الشيخ محمد الأمين الكانمي المنطق الثوري لجماعة الشيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا، متهمًا إياهم بالخروج على طاعة الإمام، وإثارة الفتن، وسفك دماء المسلمين بغير حق، في سبيل إرضاء طموحاتهم الشخصية والقبلية. كما شكك الشيخ الكانمي في شرعية الجهاد نفسها، وحسب اجتهاده أن المظالم والتهم التي تذرع بها المجاهدون لا تستدعي جهادًا في هذه البلاد، وأن الفساد قد عمَّ جميع البلدان، حتى بلاد المشرق والمغرب ذات التاريخ الطويل في الإسلام»[3] .

وعلى الجانب الآخر، لم يقبل أتباع الشيخ عثمان بن فودي لغة الحوار والمراسلة، «لم يقبل المجاهدون الذين أرادوا أن تشمل حركتهم بلاد هوسا والأقاليم بهذا المنطق؛ لأنه، حسب دعواهم، أن

[1] . الماحي، عبدالرحمن عمر (1999م)، الدعوة الإسلامية في إفريقية: الواقع والمستقبل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ص 143.

[2] . الحسيني، الشيخ إبراهيم صالح، (1976م) تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو. منشورات شعبة أبحاث السودان، ص 118 .

[3] . الماحي، مصدر سابق ذكره، ص 144 .

إحدى مسؤوليات العلماء أن يحاربوا الفساد، وأن عدم قيام علماء المغرب والمشرق بواجبهم التكليفي هو حجة عليهم، وليس حجة على المجاهدين. وكذلك فإن المقاصد الاجتماعية والأخلاقية، والظلم السياسي والاجتماعي، تستدعي إقامة الجهاد وتحكيم الشريعة الإسلامية»[1].

وهذا هو رأي الشيخ عثمان بن فودي وجماعته من المجاهدين، الذين لم يُعيروا أي أذنٍ صاغية للشيخ الكانمي، وظلوا رافعين راية الجهاد.

ومن هذا المنطلق، كان الاختلاف في القضايا الدينية والاجتماعية، وخاصة فيما يتعلق بتغيير المنكر، هو الدافع إلى كتابة تلك الرسائل بين الشيخين الكانمي وابن فودي، والتي تُعدّ من قمم النثر الفني العربي الإفريقي.

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للرسائل

المطلب الأول: النصوص الدينية

ابتدأ الكانمي رسالته بحمد الله والثناء عليه، ومن ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وصف نفسه بالمتعفّر بتراب الذنوب، المتدثّر بجلباب العيوب، وهي بداية تقليدية منبعثة من التعاليم الإسلامية وآدابها؛ فالإنسان مهما ارتفع قدره، فهو عبد ذليل بين يدي ربه. ومن ذلك قوله: «الحمد لله فاتح أبواب الهداية، ومانح أسباب السعادة، والصلاة والسلام على من بعث بالحنيفية السمحة، وعلى آله وأصحابه الذين مهّدوا وأوضحوا شرعه، من المتعفّر بتراب الذنوب، المتدثّر بجلباب العيوب، العبيّد الذليل، محمد الأمين ابن محمد الكانمي، إلى العلماء الفولانيين ورؤسائهم، السلام على من اتبع الهدى»[2].

ثم يدخل إلى الموضوع الرئيسي، فيسأل عن سبب قتال الفولانيين للبرنو، قائلًا: «فأخبرونا عن قتالكم لنا واسترقاقكم أحرارنا، إن قلتم: فعلنا ذلك بكم لكفركم، فإنا أبرياء من الكفر، وهو بعيد عن ساحتنا، فإذا كان إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومعرفة الله وصوم رمضان وعمارة المساجد كفرًا، فما الإسلام؟»[3].

من خلال النص السابق يظهر أن الكانمي يخاطب بلسان القلم رجلًا عالمًا بأمور الدين، ولذلك كانت تساؤلاته من منظور ديني؛ فهو يستنكر عليه أفعاله، والقصد من ذلك إما الموعظة الحسنة أو الترغيب والترهيب، علّه يرجع إلى رشده.

[1] . المصدر السابق، ص 144

[2] . فودي، مصدر سابق، ص232.

[3] . المصدر السابق، ص 233.

وإذا تمعّن القارئ في الرسالة، يجد النصوص الدينية تزداد وضوحًا وجلاءً، مما يدل على إلمام كاتبها بالأمور الدينية وحفظه لكتاب الله؛ لأن جلّ استدلالاته منبعها القرآن الكريم، فمثلًا نجد قوله: «سلّمنا تسليمًا جدليًّا أن تلك الأفعال مكفّرة لصاحبها، فكيف يسري لغيره؟»[1].

وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الإسراء: 15]. ومن ذلك قوله أيضًا: «وكذلك رأينا من بعضهم يعاهدون ويؤكدون الإيمان، ثم ينقضونها بعد توكيدها بقتل الرجال واسترقاق النساء والأبناء، إلى قوله: أعاذنا الله من أن نكون ممن قال تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، وأن نكون ممن قال تعالى فيهم: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. والسلام».

من خلال النص السابق اتضح لنا أن الكانمي ختم رسالته بآيات من القرآن الكريم، مبرئًا نفسه من الأعمال الشنيعة التي تؤدي بصاحبها إلى الخسران، وقد غلب على هذه الرسالة الطابع الديني.

ونجد رسالة الكانمي الثانية، بعد وصول عدة ردود من نظيره ابن فودي، أيضًا مستهلة بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدخل مباشرة إلى موضوع إرساء قواعد الصلح بين برنو والفولانيين، إلا أنه دائمًا يشير إلى السبب الذي من أجله اندلعت الحرب، وذلك في قوله: «وجاورني من جماعتكم أناسٌ لا خلاق لهم، كلما أطفأت نارًا أوقدوا أخرى، وشغلوني وغيري عن دين الله فضلًا عن سواه»[2].

وإذا دققنا النظر في هذا النص، نجد الكانمي يبرر موقفه من القتال بأسلوب ديني دقيق، وهو إطفاء نار الفتنة.

وفي الرسالة الثالثة يختتم كلامه بأبيات شعرية، وهذا يدل على ولعه بالشعر، وتسلسل أفكاره، ووضوح معانيه، وجلّ هذه الأبيات تتحدث عن اعتزازه بنفسه ومعرفته بالشريعة الإسلامية، والنصوص الدينية واضحة في أبياته[3]:

فإنني أرى نفسي على الحق والهدى** وما زغت يوماً عن طريق ذوي العلم

وما كنت مختاراً لما قد سمعتم** من الغزو والغارات والسفك للدم

ولست بعاتي في قتالي ومتعدي ** عليهم ولاكن دافع الجور والظلم

[1] . المصدر السابق، ص 234.

[2] . فودي، مصدر سابق، ص275.

[3] . المصدر نفسه، ص 278.

كإنقاذ غرقى والحريق ومن ظُلم ** وذا واجبٌ لا خوف فيه من الاثم

وفي الصلح خيرٌ إن رضيتم جوابنا ** لننجو من التأويل والقول بالرجم

فنسأل رب العرش يجمع أمرنا ** على البر والتقوى ويحسن بالختم

المطلب الثاني: النصوص السياسية

القصد واضح، والإشارة بيّنة في هذا النص السياسي؛ فهو يسأل بأسلوب سياسي لبق عن الظلم والعدوان بين المملكتين، ويتهم أعوان ابن فودي بالجهل.

ثم بيّن الدافع إلى مقابلة القتال بالمثل: «فكاتبناهم ثانيةً، وناشدناهم الله والإسلام أن يكفوا عنا شرهم، فامتنعوا وصالوا علينا، فقمنا مدافعين عن أنفسنا، متبرئين إلى الله من سوء صنيعهم، حيث ضاقت علينا الأرض، ولم نجد مقامًا ولا مجالًا، ووقع منا ما وقع، وحين وجدنا راحة وقتنا هذا، والله أعلم بالمستقبل، رأينا المكاتبة، وإن لم تنجع فيكم، أحسن من السكوت»[1].

في هذا النص تظهر سياسة الكانمي بصورة جلية؛ فهو دائمًا يسعى إلى السلم، حتى دعته الضرورة إلى رفع كتاب الله من أجل السلام، وهذا يذكّرنا بحنكة معاوية بن أبي سفيان السياسية عندما عُلّقت المصاحف على الرماح في إحدى الوقائع بينه وبين علي بن أبي طالب، وهذا يدل على تقليده لأمراء المؤمنين في حبك أمور الدولة.

ومن ذلك قوله: «أليس الخروج على الملك بعد انعقاد البيعة حرامًا عند جلِّ أهل السنة»[2].

وقوله: «وكذلك رأينا من بعضهم يعاهدون ويؤكدون الإيمان، ثم ينقضونها من بعد توكيدها بقتل الرجال واسترقاق النساء والأبناء، فيا عجبًا منكم، بعد أن كانت لكم التقدمة في العلم والدين، أحببتم الملك ورغبتم فيه، وسوّلت لكم نفوسكم وتخيّلتم ما تخيّلتم»[3].

فالكانمي يذكّر الشيخ عثمان بن فودي وجماعته بأن خروجهم على ملك الهوسا، وإرساءهم لأسس مملكة قائمة بذاتها داخل إقليم سكتو، هو الذي جلب الفوضى إلى البلاد، كما يذكرهم أيضًا بأنهم عاهدوا الرعية على الأمن والاستقرار، ثم نقضوا العهد بقتل الرجال وسبي النساء، ومردّ ذلك إلى تعلّقهم بالملك.

[1] – المصدر السابق، ص 232.

[2] –المصدر نفسه، ص 234.

[3] – المرجع نفسه، ص 235

وفي الرسالة الثالثة للكانمي نجده يسعى إلى طريق السلم، وينادي بالصلح، وذلك في قوله: «كلنا في غرر وخطر، والأسلم والأحوط ترك القتال، لكن قدر الله أن مجاورينا من المنتسبين إليكم أناس ليسوا مثلكم، ولا هم على مثل حالكم، وهم السبب في تأجيج نار الفتنة بيني وبينكم، وإن أردتم ثبوت الصلح، وفتح الطريق، وانتشار الأمن، فأمروهم أن يكفوا الغزو على أرض برنو، وقتال أهلها، ويكتفوا بالعافية والأمن عما أرادوه من الملك والسلطنة»[1].

في هذا النص يقترح الكانمي أسس الصلح، ويفتح الباب أمام ابن فودي، ويمدحه بأنه رجل صالح، إلا أن أعوانه ليسوا على شاكلته، بل كل همّهم الملك والسلطة.

المطلب الثالث: النصوص الاجتماعية

الملاحظ في رسائل الكانمي أنه كان يشير إلى بعض العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، ويرى أنها لا تستدعي الدعوة إلى الجهاد أو الحرب، أو أنها موجبة للكفر.

ومن ذلك قوله في أولى رسائله: «ومن أعظم حججكم على تكفير عامة المؤمنين ركوب الأمراء لبعض المواطن قصدًا للصدقة بها، وكشف رؤوس الحرائر، وأخذ الرشوة، وأكل مال اليتيم، والجور في الحكم، هذه الخمسة لا تبيح لكم هذا الفعل»[2].

ويقول في موضع آخر: «وهذه دمياط مدينة عظيمة من مدائن الإسلام، وهي بين مصر والشام، وذلك موضع العلم والإسلام، وبأرضها شجرة تفعل العامة مثل فعل الأعاجم، ولم يقم أحد من العلماء لقتالهم، ولا قال أحد بكفرهم»[3].

من خلال هذا النص يرى الكانمي أن بعض العادات الاجتماعية لا تبيح القتال، كما يقارن بين الوضع الاجتماعي في إقليم برنو والوضع الاجتماعي في مدينة دمياط، وما يجري فيها من عبادة الأشجار، مع وجود العلماء، ومع ذلك كله لم يقم أحد بالتصدي لهم أو مقاتلتهم.

ومن ذلك قوله: «إذ ما من زمن إلا وفيه في جميع البلدان من الفسق والمعاصي، ما لا ينحصر كثرة، فهذه مصر مثل برنو وأعظم منها، وكذلك الشام وجميع مدن الإسلام، فيهن الرشوة والجور، وأكل مال اليتيم، والظلم، والبدع، من زمن بني أمية إلى يومنا هذا، ولا يخلو زمن ولا بلد من نصيب من البدع والمعاصي»[4].

---

[1] المرجع السابق، ص277.

[2] . المرجع نفسه، ص233.

[3] . فودي، مصدر سابق، ص233.

[4] . المصدر السابق، ص134.

في هذا النص يبين الكانمي أن فساد المجتمع عام في كل البلاد الإسلامية على مر العصور، ومثل هذه الأمراض الاجتماعية تحتاج إلى تغيير، ولكن بالتي هي أحسن.

وفي الرسالة الثانية نجد قوله: «فاعلم أنه لم يصدر منا إليهم ما يوجب الشكوى البتة، إذ هم يغيرون على أطراف بلادنا، ويستلبون الأموال، ويسترقون الأحرار، ويسفكون الدماء، ويحرقون الديار، فنقوم بدفعهم واستخلاص ما أخذوه، ونتبعهم إلى حيث قدر الله تعالى، تارة نجدهم، وننقذ منهم ما سلبوه، وتارة يعجزوننا هربًا، هذا دأبنا معهم اليوم منذ ثلاثة أعوام»[1].

في هذا النص يشتكي الكانمي من إغارات الفولانيين، ويذم هذه العادة التي ترجع إلى عصر الجاهلية.

وفي موضع آخر يقول: «لكني ابتليت بأناس أتاح الله أن يجعلني فيهم، وأكثرهم مرضى القلوب، وأنا فيهم كطبيب يعالج الأمراض المزمنة ولا معين له»[2].

وفي هذا النص وصف الكانمي نفسه بالطبيب المعالج لأمراض المجتمع المزمنة.

ومن خلال تحليلنا لرسائل الكانمي الدينية والسياسية والاجتماعية، نجد أن هذه النصوص مرتبطة ومتداخلة فيما بينها؛ وذلك لأن السياسة كانت مرتبطة بالشريعة الإسلامية في تلك الفترة، وكذلك فإن انهيار المجتمع أخلاقيًا لا يخلو منه أي عصر أو منطقة، وهذه سنة الحياة..

المبحث الثالث: السمات الفنية في رسائل الكانمي

المطلب الأول: الألفاظ والأساليب

أولاً: الألفاظ

الألفاظ: هي الكلمات والمتغيرات التي يستخدمها الكاتب أو الأديب للتعبير عن أفكاره ومشاعره، كما أنها تنقل المعاني إلى القارئ بطريقة مؤثرة وجميلة لذلك "حظيت الألفاظ التي تشكل العمل الإبداعي بنصيب وافر عند رواد النقد في القديم والحديث إذ أيقنوا أن الألفاظ التي تشكل المعجم الأدبي في إطار هندسة العمل الإبداعي، لها آثار جمالية ونفسية تلقى بظلالها على المتلقي بالإضافة إلى ما تحمله من قيم فنية وموضوعية"[3].

الألفاظ الدينية كثيرة في رسائل الكانمي بالنسبة لغيرها من الألفاظ وذلك نتيجة تأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية والبيئة الصوفية. وقد وظف الكانمي الألفاظ الدينية توظيفاً أدى إلى فهم المعنى

[1] . المصدر نفسه، ص 275.
[2] . المصدر السابق، ص 276.
[3]. مصطفى، محمد فوزي، (2002م) الاتجاه الاسلامي في الشعر التشادي، الزهور للطباعة والنشر، ص320.

الذي يريده ومعالجة الموضوع الذي هو بصدده، فمن الألفاظ الدالة على الخشوع (العبد، المتدثر، المتعفر، الذليل، في قوله: "من المتعفر بتراب الذنوب، المتدثر بجلباب العيوب، العبد الذليل"[1] وهذا على سبيل المثال: الألفاظ الدالة على العبادة: (شعائر، هدى، مستقيم، كنائس، بيع)، والألفاظ الدالة على قوة الإيمان: (الحق، الهدى، الحنيفية).

الألفاظ السياسية في رسائل الكانمي: الالفاظ الدالة على الحكم (الجور، العهد، الصلح)؛ الألفاظ الدالة على الصلح: (أسلم، أحوط، تحري، السلامة)، ومن ذلك قوله: (كلنا في غرور وخطر والأسلم والأحوط ترك القتال)[2].

ومن الألفاظ السياسية قوله شعراً[3]: (الغزو، الغارات، السفك) دلالة على العدوان.

وما كنت مختارا لما سمعتم *** من الغزو والغارات والسفك للدم

الألفاظ ذات الدلالة الاجتماعية

(الرشوة، الجهل، الظلم، البدع، التقليد، الورطة) وهي ألفاظ دالة على أمراض المجتمع ومن ذلك قوله: (وكذلك الشام وجميع مدن الإسلام فيهن الرشوة والجور وأكل مال اليتيم، والظلم والبدع)[4].

(القيل، القال، يدندن) ألفاظ دالة على إثارة الفتن ومن قوله: (وجعلوا يخوضون في القيل والقال وإيراد الأدلة المقابلة بأدلة مثلها مدندنين حول طلب الملك)[5].

ثانياً: الأسلوب

الأسلوب هو الصيغة المميزة لكل نص إبداعي يعتمده الأديب للتعبير عن أفكاره بهدف إيصال فكرته للآخرين وبذلك فإن "الأسلوب هو العنصر اللفظي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير"[6]. ومن أنواع الأساليب ودلالاتها عند الشيخ محمد الأمين الكانمي في كتابة الرسائل.

أ- أساليب الخبر ومن ذلك قوله:

"فالباعث لرسم هذا المذبور، «أنه لما ساقني المقادير لهذا الإقليم»

[1] . فودي، مرجع سابق، ص232.
[2] . المرجع السابق، ص 277.
[3] . المرجع نفسه، ص 278.
[4] . المرجع السابق، ص 234.
[5] . المرجع نفسه، ص 235.
[6] . أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية للأصول والأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1991م، ص 13

"فقمنا مدافعين عن أنفسنا متبرئين إلى الله من سوء صنيعهم حيث ضاقت علينا الأرض"

"فقد بلغنا كتابك وتأملناه حرفاً حرفاً"

ب- أساليب الاستفهام:

نجد الاستفهام في قوله: "إذا كان إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومعرفة الله وصوم رمضان وعمارة المسجد كفراً فما الإسلام؟" وهو استفهام بغرض التهكم والسخرية.

وكذلك قوله: "وإن كانت من غير شعائر الإسلام فلم صليتم بها حيث ملكتم، هل هذا إلا كلام متناقض" وهو استفهام يدل على التعجب.

وقوله: "وكيف تصح الصلاة من كافرة؟" وهو استفهام استنكاري.

وقوله: "وما غزوت عليهم قط طالبا منها نفعاً أو قاصداً منهم ضرراً فهل الأم على ذلك؟" وهو استفهام استفساري.

فالاستفهام له دلالات عدة في رسائله كالتهكم والإنكار والتعجب والسخرية الخ.

ج- أسلوب الحوار

نجد أساليب الحوار كثيرة في رسائل الكانمي ومن ذلك قوله "طلبت منهم بيان السبب والدليل على الجوار، فأجابوني بجواب ركيك لا يصدر عن عاقل".

وقوله: «فأخبرونا عن سبب قتالكم لنا واسترقاقكم أحرارنا، إن قلتم فعلنا ذلك بكم لكفركم فإنا برءاء من الكفر».

وكذلك قوله: «وأما قولك: فاعلموا علم يقين، بأن طريقنا طريق اهل السنة والجماعة... إلى آخر قوله وتعاونوا على البر والتقوى، فهذا كلام مستقيم لا ينكره من له قلب سليم».

فأسلوب الحوار يضفي على الرسالة نوعا من الحياة والحركة، وكأن المشاهد ماثلة أمام المتلقي بكل شفافية ووضوح.

المطلب الثالث: رسائل الكانمي في ميزان النقد الأدبي

نلاحظ من النصوص المتنوعة لرسائل الكانمي ما يلي:

1- عمق الفكرة ورجاحة العقل ووضوح المعنى لذلك «الفكرة ضرورية للأدب، فالأدباء ليسوا بلابل يغنون الشعر بدون أفكار، بل هم دائماً يتكلمون بمعان، وهذا ما يفرق بين الأدب والموسيقى، فهي تؤثر فينا مباشرة ولا نحتاج إلى فهمها، بل إن كثيرين يقبلون عليها غير آبهين بفهمها، أما

ألأديب فلابد له من عرض أفكار تفهم لأنه يحدثنا ويكلمنا، فلا يتكلم بكلام لا يفهم بل دائماً يصلنا كلامه بأفكاره وآرائه المختلفة»[1].

2- الأسلوب في رسائل الكانمي مسترسل غير مقيد لمحسنات بديعية إلا ما جاء عفو الخاطر دون تكلف ممقوت لذلك يقول بعض النقاد "أن الأسلوب والموضوع إذا كانت مادة الكتابة عقلية خالصة كان الأسلوب بسيطاً نوعاً ما، ومطلبه الوحيد هو الدقة أو الوضوح ومقياسه الإفهام»[2].

3- الألفاظ سهلة واضحة معبرة للفكرة ومن أمثلة ذلك قوله: "نار الفتن بينكم وبين أهل الوطن موقودة" مما يشير إلى قوة الاقتتال.

4- ندرة الصور الخيالية في النصوص، لان الموضوع غلبة عليه الفكرة أكثر من العاطفة والجمال وهذا بحد ذاته لا يعتبر أمر سلبي في النصوص الأدبية لذلك "ليس معنى هذا أنه لا فرق بين الخيال والتفكير فكلاهما يستعير مواده من الخارج والواقع، ويظهر لمن لا يدقق أن الخيال يسير موازياً كل الموازاة للتفكير، ولكن إذا أمعنا النظر وجدناهما يفترقان افتراقاً عظيماً، فالتفكير يقوده غرض محدود جداً هو معرفة الحقيقة والتهدي إليها فهو استكشافي محض، لا يفترض شيئاً ولا يخلق علاقات جديدة بين الأشياء وإنما يحاول أن يفهم ما كان وأن يعرف العلاقات الموجودة، أما الخيال فدائرته أوسع، يعمد إلى الحقائق الواقعة فيؤلف بينها على نظام خاص له يستحدث فيه علاقات جديدة غير مقتنع بمالها من علاقات في الخارج، وما يزال يقيم من العلاقات ويعقد ويختار من المواد ما يوائم صورته ويرتب حتى يستوي الشكل الذي يبتغيه، وهذا إلى أن الخيال ذاتي شخصي فيه أثر صاحبه وذهنه، أما التفكير فموضوعي لا يحاول تبديلاً في الواقع ولا تغييراً وإنما كل محاولته في فهمه وبيان معانيه» [3].

5- القمة الموضوعية: تدور رسائل الكانمي في كثير من الأحيان حول قضايا دينية وسياسية واجتماعية، ومن أبرزها مراسلاته مع أتباع الشيخ عثمان بن فودي ومحمد يبلو بن الشيخ عثمان بن فودي، وقد اتخذ الكانمي من الرسالة وسيلة للحوار والاحتجاج وإبداء الرأي ولا سيما في موقفه من القتال الذي دار بين دولة برنو وحركة الجهاد الفودي.

6- البناء الفني للرسالة: من أبرز خصائص رسائل الكانمي حسن افتتاحها والانتقال المنظم من المقدمة إلى عرض القضية ثم الاستدلال والمناقشة والخاتمة.

وهذا البناء يدل على أن الكانمي لم يكن ينظر إلى الرسالة باعتبارها وسيلة اخبار فحسب، بل كان يولي صياغتها اللغوية والحجاجية عناية خاصة.

---

[1] . ضيف، شوقي، (1999م) في الأدب والنقد، دار المعارف، القاهرة، ص 14.

[2] . الشايب، أحمد، (2006م) أصول النقد الأدبي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للنشر، ص 256.

[3] ضيف، مصدر سابق، ص20.

7- التناص الديني والبلاغي: يحتل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومصطلحات الفقه والشريعة الإسلامية موقعاً بارزاً في رسائل الكانمي، وهذا مرده إلى تكوينه الديني والعلمي، لأن الاستشهاد بالنصوص الدينية لا يؤدي وظيفة توثيقية فحسب، بل يمنح الخطاب قوة حجاجية وإقناعية.

8- الحجاج والإقناع: من أهم الخصائص الأدبية في رسائل اللكانمي هي الطابع الحجاجي، فهو لا يكتفي بإعلان موقفه، وإنما يعرض السبب، ويناقش رأي الخصم ويستشهد بالنصوص، ثم يحاول الوصول إلى نتيجة عقلية وشرعية.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يتضح أن رسائل الشيخ محمد الأمين الكانمي تمثل جانبًا مهمًا من جوانب النثر العربي في منطقة برنو، وأنها لا تقتصر على كونها وثائق دينية أو سياسية، بل تحمل قيمة أدبية وفكرية وتاريخية جديرة بالدراسة والنقد. فقد استطاع الكانمي أن يوظف اللغة العربية الفصيحة في التعبير عن أفكاره ومواقفه، وأن يجمع بين قوة الحجة، ووضوح المعنى، وجمال الأسلوب، مع الاستفادة من القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي في بناء خطابه، ولقد تمكن الكانمي من اللغة، وقوة أسلوبه الحجاجي، وحسن توظيفه لبعض الأساليب البلاغية، فضلًا عن القيمة التاريخية والفكرية التي تتمتع بها رسائله.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. تمثل رسائل الشيخ محمد الأمين الكانمي جابنا مهما من النثر العربي في منطقه برنو، وتكشف عن مستوى متقدم من حضور اللغة العربية والثقافة الاسلامية في المنطقة.
2. تمتع الكانمي بقدرة لغوية وأسلوبية واضحة ظهرت في سلامة عباراته وفضاحة ألفاظه وحسن تركيب جمله.
3. غلب على رسائله الطابع الحجاجي والإقناعي، إذ اعتمد على الأدلة الشرعية والعقلية لإثبات آرائه والدفاع عن مواقفه.
4. وظف الكانمي الأساليب البلاغية في رسائله مثل السجع والمقابلة والجناس وبعض الصور البيانية مما أضفى على أسلوبه قيمة أدبية.
5. برز التأثر بالتراث العربي والإسلامي في أسلوبه وتراكيبه واستشهاداته، وهو ما يعكس ثقافته الواسعة وارتباطه بالموروث العربي.
6. جمعت رسائله بين الوظيفة الأدبية والوظيفة الدينية والسياسية، فلم تكن غايتها تحقيق الجمال الفني فحسب، وإنما كانت، وسيلة للنصح والحوار والمناقشة والدفاع عن المواقف.
7. تتميز رسائل الكانمي بقيمة تاريخية وفكرية كبيرة لأنها تسجل جوانب من الحياة الدينية والسياسية والفكرية في برنو خلال القرن التاسع عشر.

التوصيات:

في ضوء النتائج الي توصلت إليها الدراسة يمكن تقديم التوصيات الآتية:

1. ضرورة الاهتمام بالتراث الأدبي العربي الإفريقي والعمل على جمع نصوصه وتحقيقها ودراستها دراسة علمية.
2. تشجيع الباحثين على دراسة رسائل محمد الأمين الكانمي من جوانب أخرى وعدم الاقتصار على الجانب التاريخي لأن أغلب الدراسات ركزت على الجانب التاريخي.
3. العناية بتحقيق رسائل الكانمي تحقيقاً علمياً ومقابلة نسخها المخطوطة إن وجدت وإثبات الفروق بينها والتعريف بمصادرها وسياقاتها التاريخية.
4. جمع رسائل الكانمي في مؤلفٍ علميٍ مستقل مع تقديم دراسة تمهيدية تبرز حياته وثقافته وبيئته العلمية والسياسية والأدبية لأن جلّ الدراسات التي تناولته لم تلبي احتياجات الباحثين لأنها غالباً ركزت على جوانب محددة فقط.
5. إنشاء مشاريع علمية لجمع المخطوطات والوثائق العربية في المنطقة وحفظها ورقمنتها بما تمثله من قيمة علمية وتاريخية وأدبية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد الشايب. (1991). الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية (ط. 8). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
2. أحمد الشايب. (2006). أصول النقد الأدبي (ط. 10). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للنشر.
3. إبراهيم صالح الحسيني. (1976). تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو (ط. 1). الخرطوم: منشورات شعبة أبحاث السودان.
4. حامد هارون. (2016). الشعر العربي الحديث في تشاد: رواده واتجاهاته (ط. 1). نجامينا: مطبعة الأوفست.
5. شوقي ضيف. (1999). في الأدب والنقد. القاهرة: دار المعارف.
6. عبدالرحمن عمر الماحي. (1999). الدعوة الإسلامية في إفريقيا: الواقع والمستقبل (ط. 1). طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية.
7. محمد بيلو بن عثمان فودي. (1996). إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (فهيمة الشاذلي، تحقيق). القاهرة: منشورات معهد الدراسات الإفريقية.
8. محمد فوزي مصطفى. (د.ت.). الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي. القاهرة: الزهور للطباعة والنشر.